علة الحرب الكبرى

قرأنا في مجلة هرست الدولية مقالة للدكتور لدوغ ستين الالماني استاذ الفلسفة في احدى جامعات اميركا ابان فيها السبب الحقيقي الذي حمل المانيا على انتضاء الحسام واعلان الحرب على فرنسا فلخصناها فيما يلي ليرى قراءه المقتطف كيف ان طبع البشر لم يتغير ففي حال البداوة كان حب الكسب يدعو القبائل الى الحرب والنهب والآن لا يزال حب الكسب يدعو الامم المتمدنة الى اثارة الحروب وسفك الدماء. قال الكاتب

اني اعرف اكثر ارباب الاعمال من الالمان وساصفهم كما اعرفهم مبتدئاً بالشاب هوغو شتينس Stinnes الذي تولى اعمال ابيه بعد وفاته

توفي ستنس الاب وله ابنان ادمند وهوغو اما ادمند فتدين يكره اليهود ويعجب بالامبراطور. وهوغو فاتر في دينه مثل ابيه وقد صار عمره الآن ٢٧ سنة وكان يد ابيه اليمنى زمن الحرب فمكان رسوله في المهام وقد قال لي ابوه مرة انه هو الذي سيخلفه بعد وفاته وقد ترك كل ما يملكه لزوجته ورغب اليها ان تسلم ادارتها لابنه هذا

لقيت هذا الشاب اول مرة سنة ١٩١٥ فانني دعيت لاخطب في معامل كروب في اسن وبعد الخطبة قال لي الدكتور بل Bell (وهو من الذين امضوا شروط الصلح في فرسايل) ان هذا الشاب يرغب في مقابلتي وكان في الثامنة عشرة من عمره شديد الحياء يميل الى العزلة لكنني رأيته شديد الذكاء فتكلمنا طويلاً وسررت بحديثه كما سُرّ بحديثي على ما ظهر لي. ولقيت اباه في اليوم التالي فقال ان ابنه هذا اصغر منه وانه سيخلفه

كان ستنس معتاداً ان يعقد مجالس ليلية في بيته مع زوجته واولاده فيتذاكرون في اشغاله ومشروعاته وما ينوي عمله فتدرّب ابنه هذا على ادارة الاعمال. وبعث به ابوه في بعض المهام السياسية فاقام شهوراً يتردد بين برلين وستكهلم بحادث الماليين ورجال السياسة فاحترمه كل الذين حادثهم وزاد سرور ابيه به لانه قام بكل ما طلبه منه خير قيام. ومن اهم ما أرسل فيه ذهابه الى بخارست ولا ازال اتذكر كيف عاد وقصّ على ابيه ما فعله فانه فعل ما كان ابوه يفعله لو ذهب هو نفسه فسُرّ به لانه رآه سر ابيه

ومن اهم رجال المانيا بعد ستنس اوغسط تسن Thyssen صاحب مناجم الحديد . وكانت العلاقات بين تسن وستنس قبل الحرب فاترة فان ستنس كان كثير الاعمال المختلفة فحسب تسن ان كثرة اعماله تجعلهُ يخبط فيها خبط عشواء لاسيما وانهُ كان يتوخى ان يتسلط على كل الاعمال واما تسن فكان قد خصص همهُ كلهُ لعمل واحد ولذلك كان الاثنان على طرفي نقيض في العمل . وهما كذلك في الدين وفي كل الامور فان ستنس من البروتستانت ولكنهُ لا يعبأ بفروض الدين واما تسن فكاثوليكي شديد التدين اقام في قصره كنيسة يصلي فيها فرضهُ كل يوم الساعة الخامسة صباحاً . ومركز الخلاف الجوهري بينهما في الاعمال ان تسن من اصحاب مناجم الحديد وستنس من اصحاب مناجم الفحم . وقد حاولتُ سنة ١٩١٢ ان اصلح بينهما فلم افلح وكان تسن حينئذٍ اغنى من ستنس فان كل ما كان يملكهُ ستنس حينئذٍ من السفن ومناجم الحديد والفحم لم تكن قيمتهُ اكثر من عشرة ملايين من الريالات واما تسن فكانت قيمة ما يملكهُ من الحديد والفحم مائة مليون ريال فكان الثالث في المانيا من حيث الثروة . والاول البرنس هنكل دوتر سمارك Henckel-Donnersmark والثاني كروب Krupp . ولكن بعد عشر سنوات فاق ستنس الثلاثة ثروةً ومات اغنى رجل في المانيا

ويرجع غنى تسن الى سنة ١٨٧١ حينما اشرك اباهُ معهُ وانشأ شركة تسن وكان عمرهُ ١٩ سنة واقام معملاً لرق صفائح الحديد وعمل قضبانهِ . وكان رأس المال منهُ لا من ابيهِ وهو صاحب استنباط واقدام على جلائل الاعمال واما ابوهُ فكان يعرف ما يقتضيهِ هذا العمل لانهُ تعلمهُ في معمل تصنع فيهِ قضبان الحديد وكان خبيراً ايضاً بالمعاملات المالية . وكان تسن في صباهُ شبيهاً بفورد في اهتمامهِ بالاستيلاء على كل ما لهُ اتصال بعملهِ . وسبك الحديد يحتاج الى الفحم فاشترى كثيراً من مناجم الفحم ولما صار الحديد والفحم في يدهِ اعوزتهُ وسائل النقل فاقتنى كثيراً من البواخر التي تجري في الترع والانهار واقتنى ايضاً قطارات لسكك الحديد فبها ٢٥٠٠٠ مركبة وما تحتاج اليهِ من القاطرات فربطت بين مناجمهِ ومعامله وانشأ شركات تجارية لنقل بضائعهِ الى اطراف المسكونة . وشاع حينئذٍ في المانيا وفي كل اوربا ان تسن صار من اصحاب الملايين فاقتدى بهِ كثيرون وسارعوا في خطواتهِ وكان يملك من مناجم الفحم اكثر مما يملك من مناجم الحديد فقام في نفسهِ ان يشترك مع ده فندل

de Wendel الفرنسوي صاحب مناجم الحديد الواسعة في اللورين فان الحديد فيها كثير ولكن الفحم قليل ولو تمّ لهُ ذلك لما ثارت الحرب وقتما ثارت

كنت في باريس في ربيع سنة ١٩١٤ مع مدير اشغال تسن فعلمتُ منهُ ان تسن كان مستعدًّا ان يدفع اي مبلغ معقول يطلب منهُ ثمناً لمناجم لونجوي Longwy وبريي Briey ثم يبتاع غيرها من مناجم الحديد الفرنسوية ولكنهُ لم يفلح فان غرضهُ بلغ الجرائد الفرنسوية فقامت قيامتها عليهِ . ولما كنت افتح جريدة فرنسوية في مايو سنة ١٩١٤ الاّ وجدت فيها اللعنات تنصبُّ على رأس تسن ومشروعاتهِ . وما فعلتهُ الجرائد الفرنسوية فعلتهُ انكلترا وروسيا ايضاً لانهُ اذا تسلط الالمان على مناجم الحديد الفرنسوية تسلّطوا على اوربا كلها وعلى اسواق اميركا الجنوبية وشرق اسيا وحلّت المانيا محل انكلترا في بناء السفن ولذلك اضطرت انكلترا ان تتفاهم مع فرنسا وروسيا لكي تقاوم المانيا ففُصل بين الحديد الفرنسوي والفحم الالماني ودارت رحى الحرب

ولاشبهة عندي ان محاولة تسن الاستيلاء على مناجم فرنسا كان السبب الاقتصادي الفعال في اثارة الحرب . وما الاسباب السياسية التي يجاهر بها رجال السياسة الاّ تعلاّت ثانوية لانهم يزوّقون بضاعتهم حتى تروج ويتمكنوا من جعل جنودهم يحاربون حروبهم وهم مسيّرون بالمطالب الاقتصادية . والذي اعلمهُ عن ثقة ان هوغو ستنس اقنع الجنرال لودندرف بلزوم مناجم لنجوي وبريي لالمانيا وانهُ لا بدَّ لها منها عاجلاً او آجلاً حاسباً انهُ ينال بالحرب ما عجز عنهُ تسن بالسلم . وقد جاء مشروع دوز الآن لجمع بين الفحم والحديد ولكن لم يجعل السلطة عليها لالمانيا بل لجمعية الامم

ان كشف هذه الحقيقة مهم لاميركا لانهُ يوطد السلم في المتكونة فيعود ذلك باكبر نفع على الاميركيين. ولو اجتمع الفحم الالماني والحديد الفرنسوي في يد غير يد جمعية الامم لكان من ذلك اكبر ضرر على انكلترا

واستطرد الكاتب الى الكلام على سائر اقطاب الالمان مما لا نرى فائدة من ذكرهِ . وقد اقتصرنا على ما تقدم لانهُ اماط اللثام عن سبب للحرب لم يكن معروفاً على ما يظهر